

نشاطي فكان ذلك سبباً الى تواليف لي عظيمة المنفعة ولولا  
استشارتهم سا كني واقتداحهم كما نبي ما انبعثت لتلك التواليف  
لاتصاهر الى صديق ولا تباعه فما رأينا هذين العمليين  
الاسباباً للقطيعة وإن ظن أهل الجهل أن فيهما تآكيداً للصلة  
فليس كذلك لان هذين العقدين داعيان كل واحد الى طلب  
حظ نفسه والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً فاذا اجتمع طلب  
كل امرئ حظ نفسه وقعت المنازعة ومع وقوعها فساد  
المروءة وأسلم المصاهرة مغبة مصاهرة الالهيين بعضهم بعضاً  
لان القرابة تقتضي العدل وان كرهوه لانهم مضرون الى  
مالا انفكاك لهم منه من الاجتماع في النسب الذي توجب  
الطبيعة لكل أحد الذب عنه والحماية له

### فصل في أنواع المحبة

وقد سئلت عن تحقيق القول فيها وفي أنواعها  
المحبة كلها جنس واحد ورسمها انها الرغبة في المحبوب وكراهه  
منافرتة والرغبة في المقارضة منه بالمحبة وانما قدر الناس انها  
تختلف من أجل اختلاف الاغراض فيها وانما اختلفت  
الاغراض من أجل اختلاف الاطماع وتزايدها وضعفها أو

انقسامها فتكون المحبة لله عز وجل وفيه والاتفاق على بعض  
 المطالب وللأب والابن والقراية والصديق وللسلطان ولذات  
 الفراش وللمحسن وللمأمول وللمعشوق فهذا كله جنس واحد  
 اختلفت أنواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال من  
 المحبوب فلذلك اختلفت وجوه المحبة وقد رأينا من مات أسفاً  
 على ولده كما يموت العاشق أسفاً على معشوقه وبلغنا ممن شق  
 من خوف الله تعالى ومحبه فمات. ونجد المرء يغار على سلطانه  
 وعلى صديقه كما يغار على ذات فراشه وكما يغار العاشق على  
 معشوقه فأدنى اطماع المحبة ممن تحب الحظوة منه والرفعة لديه  
 والزلفة عنده اذا لم تطمع في أكثر وهذه غاية اطماع المحبين  
 لله عز وجل ثم يزيد الطمع في المجالسة ثم في المحادثة والموازية  
 وهذه اطماع المرء في سلطانه وصديقه وذوي رحمه. وأقصى  
 اطماع المحب ممن يحب المخالطة بالاعضاء اذا رجا ذلك ولذلك  
 تجد المحب المفرط المحبة في ذات فراشه يرغب في جماعها  
 على هيآت شتى وفي أما كن مختلفة ليستكثر من الاتصال.  
 ويدخل في هذا الباب الملامسة بالجسد والتقبيل وقد يقع  
 بعض هذا الطمع في الأب في ولده فيتعدى الى التقبيل

والتعنيق وكل ما ذكرنا إنما هو على قدر الطمع فإذا انحسرت الطمع  
 عن شيء ما لبعض الأسباب الموجبة له مالت النفس إلى ما تطمع  
 فيه . ونجد المقر بالروية لله عز وجل شديد الحنين إليها عظيم  
 النزوع نحوها لا يقنع بدويرة دونها لأنه يطمع فيها . ونجد  
 المنكر لها لا تحنّ نفسه إلى ذلك ولا يتناهى أصلاً لأنه لا يطمع  
 فيه ونجد مقتصر على الرضا والحلول في دار الكرامة فقط لأنه  
 لا تطمع نفسه في أكثر . ونجد المستحل لنكاح القرائب لا  
 يقنع منهن بما يقع المحرم لذلك ولا تقف محبته حيث تقف  
 محبة من لا يطمع في ذلك فتجد من يستحل نكاح ابنته وابنة  
 أخيه كالجوس واليهود لا يقف من محبتهم حيث تقف محبة المسلم  
 بل نجد هاتين المشقان الابنة وابنة الاخ كتمشق المسلم فيمن يطمع  
 في مخالطته بالجماع . ولا نجد مسلماً يباغ ذلك فيهما ولو انهما أجل  
 من الشمس وكان هو أعمر الناس وانزلهم فان وجد ذلك في  
 الذرة فلا تجده الا من فاسد الدين قد زال عنه ذلك الرادع  
 فانفسح له الأمل وانفتح له باب الطمع . ولا يؤمن من المسلم  
 ان تفرط محبته لابنة عمه حتى تصير عشقاً وحتى تتجاوز محبته لها  
 محبته لابنته وابنة أخيه وان كانتا أجل منها لأنه يطمع من

الوصول الى ابنة عمه حيث لا يطمع من الوصول الى ابنته  
وابنة أخيه ونجد النصراني قد أمن ذلك من نفسه في ابنة  
عمه أيضا لانه لا يطمع منها في ذلك ولا يأمن ذلك من نفسه  
في أخته من الرضاة لانه طامع بها في شريعتة . فلاح بهذا  
عيانا ما ذكرنا من ان المحبة كلها جنس واحد لكنها تختلف  
أنواعها على قدر اختلاف الاغراض فيها والافطباع البشر  
كلهم واجدة الا أن للعادة والاعتقاد الديني تأثيرا ظاهرا  
ولسنا نقول ان الطمع له تأثير في هذا الفن لكنه نقول  
ان الطمع سبب الى كل هم حتى في الاموال والاحوال فاننا  
نجد الانسان يموت جاره وخاله وصديقه وابن عمه وأم  
وابن أخيه وأم وجدته أبو أمه وابن بنته فاذا لمطمع له في ماله  
ارتفع عنه الهم نفوته عن يده وان جل خطره وعظم مقداره  
فلا سبيل الى ان يمر الاهتمام بشي منه بباله حتى اذا مات له  
عصبة على بعد أو ولى على بعد وحدث له الطمع في ماله حدث  
له من الهم والاسف والغيظ والفكرة بقوت اليبير منه عن يده  
أمر عظيم وهكذا في الاحوال فنجد الانسان من أهل  
الطبقة المتأخرة لا يهتم لا بفقد غيره أمور بلده دون أمره

ولا لتقريب غيره وإبعاده حتى إذا حدث له مطمع في هذه  
المرتبة حدث له من الهم والفكرة والغيظ أمر ربما قاده إلى  
تلف نفسه وتلف دنياه وأخراه . فالطمع إذاً أصل لكل ذل  
ولكل هم وهو خلق سوء ذميم وضده نزاهة النفس وهذه  
صفة فاضلة مركبة من النجدة والجود والعدل والفهم لأنه  
رأى قلة الفائدة في استعمال ضدها فاستعملها وكانت فيه نجدة  
انتجت له عزة نفسه فتنزهه وكانت فيه طبيعة سخاوة نفس فلم  
يهم لما فاته وكانت فيه طبيعة عدل حببت إليه القناعة وقلة  
الطمع . فاذن نزاهة النفس متركبة من هذه الصفات  
فالطمع الذي هو ضدها متركب من الصفات المضادة لهذه  
الصفات الأربعة وهي الجبن والشح والجور والجهل . والرغبة  
طمع . مستوفى . متزايد مستعمل ولو لا الطمع ما ذل أحد  
لأحد . وأخبرني أبو بكر بن أبي الفياض قال كتب عثمان  
ابن محاسن على باب داره بأستحجة<sup>(١)</sup> يا عثمان لا تطمع

﴿ فصول من هذا الباب ﴾

من امتحن بقرب من يكره كمن امتحن ببعد من يحب

(١) بلد بالمغرب بالأندلس من أعمال قرطبة اه من القاموس وشرحه